تأملات في مصطلح «السلفية الجهادية»

أبو دجانة الباشا

عفا اللّه عنه



ــ بسم الله الرحمن الرحيم ــ

تأملات في مصطلـــــح «السلفية الجهادية»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فمنذ ما يقرب من عقد من الزمان ظهر على الساحة الإسلامية مصطلح «السلفية الجهادية» ويقصد به -في الجملة-[1] هذه الفئة المؤمنة المجاهدة التي تقاتل في كثير من بقاع الأرض؛ لنصرة الدين ورد المعتدين وتحكيم شريعة رب العالمين، ويسعى أصحابها أن تكون طريقتهم في جهادهم طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وقد لا ينازع أحد في صحة المعنى الذي يحمله هذا الاسم «السلفية الجهادية» ما دام جارياً وفق المفهوم آنف الذكر، ولا أظن أن أحداً ينازع أيضاً في أن تسمية طائفة معينة من الأمة به

1(?) قلت في الجملة لأن هناك بعض من ينتمي إلى هذه الطائفة المجاهدة ولا يحسب على التيار السلفي المعاصر كما ستأتي الإشارة إليه، وقد حصر البعض هذا الاسم في كل من ينتمي إلى هذا التيار ويؤمن بالجهاد لتحقيق الأهداف المذكورة، وهذا قد يكون أقرب للمعنى الحرفي له، ومن هذا البعض من لا يرى ديناً ولا جهاداً إلا كذلك، فضيق على الأمة واسعاً، ونفر الكثير من المسلمين من دينهم.

ليست واجبة. هذا ومع بحثي الشديد عن مصدر هذا المصطلح، وعمن أطلقه على هذه الفئة المجاهدة أول مرة، إلا أنني لم أعثر على شيء يشفي الغليل، وإن كنت أظن أن هذه المعرفة ليست لها كثير فائدة؛ فسواء أطلقه على هذه الفئة بعض المنتسبين إليها عن حسن قصد منهم، أو أطلقه عليها أعداؤها عن سوء قصد للنيل منها، فإنه ينبغي لنا أن ننظر إلى ما آل إليه الحال مع هذه التسمية، من استفادة الأعداء منها في محاولاتهم المستمرة لتشويه هذه الفئة وتنفير الناس منها وعزلها عن أمتها، وربما ساعد على ذلك بعض الأخطاء التي وقعت من بعض من ينسب إلى هذه الطائفة المجاهدة، فهي ليست طائفة معصومة من الخطأ، شأنها في ذلك شأن أي طائفة، وإن كانت الأخطاء فيها قليلة مقارنة بغيرها من الطوائف والتيارات، ولا ترجع أخطاؤها إلى أصل منهجها وإنما إلى تطبيقات ميدانية عملية من بعض أفرادها، كما هو حال أي جهد بشري، وقد يكون البعض قد اندس بين صفوف هذه الطائفة؛ ليكيد بها، ويحرف مسيرتها، ويشوه منهجها، ويفرق كلمتها. كما أن كثيراً مما يشنع به على هذه الفئة هو من المعروف الذي أصبح في هذا الزمان منكراً، كمن ينكر عليها مشروعية جهاد الحكام المنابذين لشرع الله، المحاربين له، والخروج عليهم؛ لإقامة خلافة راشدة على منهاج النبوة، بل وينكرون عليها القيام بما أجمعت الأمة على وجوبه، واتفق عقلاء البشر على ضرورته من جهاد العدو الصائل، الذي يفسد دين الناس ودنياهم، كما هو حادث في أفغانستان والعراق والصومال، وغيرها من بلاد المسلمين.

وإن كنت أقر بداية أن المسألة التي أتحدث عنها أعمق من أن يتناولها بالبحث مثل هذا المقال المختصر، ولكنها بداية أدعو بها إخواني المجاهدين إلى النظر فيها بإنصاف وتجرد يساعدان على تحقيق أهداف هذه الفئة المجاهدة، بجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والله سبحانه فاعل ذلك لا محالة وناصر دينه وأولياءه، قال تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ وقال: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ وقد قضى الله بألا يخلو زمان من قائل بالحق قائم به،

وهؤلاء هم الطائفة المنصورة التي أخبر النبي بأنها لا تزال ظاهرة على الحق، لا يضرها من خذلها، ولا من خالفها.

فعن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله : «لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضُرّهم من خذلهم، حتى يأْتي أمر الله وهم كذلك».[1]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال : «لا تزال طائفة من أهل الإسلام يقاتلون على الإسلام، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتلون الدجال».[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: فعُلم بخبره الصدق أن لا بد أن يكون في أمته قوم متمسكين بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً.[3]

وهؤلاء هم صفوة أهل الإسلام وطليعة الفرقة الناجية، وهم خير الناس للناس كما قال تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

وعن أبي هريـرة رضي الله عنه في قوله تعـالى: كنتم خـير أمة أخرجت للناس، قال: «خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام».[4]

والمتأمل في أحـــــاديث الطائفة المنصـــــورة، وما ذكر فيها من صـــفات، ومن أبرزها الجهـــاد لإعلاء كلمة اللـــه، يجد أن من أحق الناس دخـولاً فيها هي هـذه الفئة المؤمنة الـتي تقاتل في مشـارق الأرض ومغاربها، متمسكة بهدي نبيها، هذه الفئة الصابرة المصـابرة المرابطة الـــتي أبت الانحنـــاء للباطل أو التنـــازل عن الحق الـــذي تحملــه، مع ما تتعــرض له من محن وابتلاءات، في زمن تمــوج فيه الفتن كموج البحر، فهي -كما قال شيخ الإسلام في أمثالهـا-: أقـوم الطوائف بـــدين الإســـلام علماً وعملاً, وجهـــاداً عن شـــرق الأرض

1(2) مسلم: 3/1523، وقد صرّح عدد من أهل العلم بتواتر حديث الطائفة المنصورة كشيخ الإسلام ابن تيمية والسيوطي وغيرهما.
2(?) المعجم الكبير: 18/111.
3(?) اقتضاء الصراط المستقيم: 6.
4(?) البخاري: 4/1660.

وغربهـــا, فـــإنهم هم الـــذين يقـــاتلون أهل الشـــوكة العظيمة من المشركين وأهل الكتاب.[1]

ولكن ما يجب التأكيد عليه أن الطائفة المنصورة ليست محصورة في الفئة التي اصطلح على تسـميتها «بالسـلفية الجهادية» أي أنها من الطائفة وليست كلها؛ فهناك الكثـير ممن نصر دين اللـه، وقـام لإعلاء كلمته، وهو لا ينتسب إلى هذا الاسم، سواء كانوا جماعات أو أفراداً، علمناهم أو لم نعلمهم.

وهنـاك الكثـير من أتبـاع هـذه الطائفة ومناصـريها لم ينتمـوا إلى التيار السلفي بمعناه المعاصر.

والناظر في التاريخ يجد الكثير ممن نصروا الدين، واستحقوا وصفهم بأنهم من الطائفة المنصورة، لم يكونوا على هذا النهج السلفي بمعناه المعاصر. بل ربما كان فيهم من يخالف اعتقاد السلف الصالح في بعض المسائل، ولكن لحسن بلائهم في نصرة الدين ودفعهم عن حياضه، وكسرهم لشوكة أعدائه، عُدُّوا من الطائفة المنصورة بهذا الاعتبارِ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذا مشهور عن الطائفة التي تقاتل في مصر وأكناف بيت المقدس.

وربما نستطيع القول أيضاً أن جماعة قاعدة الجهاد -وهي الجماعة الرئيسية التي تنسب إلى هذه الطائفة- لا تستعمل هذا المصطلح في أدبياتها.

ولا يعني هذا أن هذه الطوائف التي تنتسب في مجملها إلى الطائفة المنصورة معصومة من الزلل، بل لكل منها نصيبه من هذا الاسم الشريف بحسب ما تتحلى به من صفات هذه الطائفة، وهم في ذلك بين مقل ومستكثر.[2]

وأعود إلى مصطلح «السلفية الجهادية» وكما هو واضح فإنني أدعو إخواني المجاهدين في مشرق الأرض ومغربها إلى هجر هذا المصطلح وإبداله بما ورد في القرآن والسنة وأُثِر عن السلف رضوان الله عليهم، كمصطلح «الطائفة المنصورة» في إشارة إلى

1(?) الفتاوى: 28/532.

2(?) انظر في ذلك: أعلام السنة المنشورة في صفات الطائفة المنصورة: 1/10.

كل قائل بالحق قائم به في هذا الزمان. وكذا مصطلح: «المجاهدون» -إذا أشرنا إلى أهله- فهو وإن كان جزء ما تحفظنا عليه إلا أنه مصطلح شرعي، ولم يصبه ما أصاب غيره من تشويه، وله مكانة في قلوب العامة والخاصة، لذا لما أرادوا محاربته سموه عنفاً، وهذا بخلاف ما نحن بصدده.

لأنه -ومع تأكيدي على شرف معناه وصحته- مصطلح حادث لم يرد في كتاب ولا سنة ولا استعمله سلف الأمة، وفيما ورد في شرعنا غنية عنه، كما سبق في وصف النبي لأهل الحق بالطائفة المنصورة.

ولأن «الطائفة المنصورة» مصطلح أجمع وأشمل من مصطلح «السلفية الجهادية»؛ لأنه يدخل فيه الكثير ممن قالوا الحق وقاموا به ولم ينتسبوا إلى هذه المدرسة كما أسلفنا، ونحن مطالبون بأن نجتمع ما استطعنا لا أن نفترق.

بل إن الناظر المستبصر لمسار الأحداث في هذا الزمان يجد أن أعداء الدين وأهل الباطل قد أعجبهم هذا المصطلح -إن لم يكونوا هم واضعيه- وأفسحوا المجال لنشره، واستفادوا منه أيما استفادة في تشويه حملته، وتصويرهم بأنهم ثلة منحرفة عن دينها، منبوذة من أمتها، وأصبح هذا الاسم مرتبطاً في أذهان الكثير من العامة -بل وربما بعض الخاصة- بسفك الدماء المحرمة، والإفراط في الدين والمعتقد.. إلى آخر سلسلة الاتهامات الباطلة المشهورة. وهو ما أوجد فجوة بينها وبين شريحة لا يستهان بها من الأمة، وأذكر أنني كنت قد كتبت مقالاً بعد سقوط الإمارة الإسلامية في أفغانستان بعنوان: «لماذا سقطت دولة الإسلام في أفغانستان» حذرت فيه من محاولة أعدائنا لعزلنا عن أمتنا لتسهل بالتالي هزيمتنا، وذكرت فيه أهمية قتالنا كأمة، وليس كتنظيم أو فئة معينة، فأمم الكفر التي تداعت علينا لن يهزمها سوى أمة الإسلام بطليعتها الطائفة المنصورة.

ومع أننا ندين الله بأن هذه الفئة هي من أقرب الناس للحق في هذا الزمان، وأن في الأمة من أهل الحق غيرها -وذلك بحسب تمسكهم والتزامهم بمنهج الحق- وندين الله أيضاً بأن البعض ممن

ينتسبون إلى العمل الإسلامي لديهم من الانحراف والضلال ما يجعلهم من أبعد الناس عن الحق وأهله، إلا أن هذا الاسم «السلفية الجهادية» أصبح في أذهان الكثيرين قسيماً للمسميات الأخرى المنحرفة عن الجادة التي تنتشر في هذا الزمان، وهذه قسمة ضيزى؛ فليس من أخذ الدين كله وبقوة، كمن أضاع أكثر الدين وداهن ووالى أعداءه. بمعنى أن هذه الفئة أصبحت في أحسن أحوالها في أذهان الكثير من المسلمين تياراً إسلامياً كغيرها من التيارات، مع ما علق في أذهانهم عنها من تشويه.

هذا بالإضافة إلى أن انتشار هذا المصطلح قد أضاف سبباً جديداً للفرقة بين الأمة -المثقلة أصلاً بذلك- بل وبين بعض القائمين بالحق فيها؛ بسبب تعصب بعض من ينتسب إلى الاسم وإن فرط في بعض ما يحمله من معاني، ولا يختلف المسلمون في أن اجتماع كلمتهم أصل من أصولهم، وعماد قوتهم، وسر انتصارهم، والنظر في ذلك أولى من النظر في أسماء قد ثبت حصول الضرر منها، حتى أصبحنا نخشى على بعض من ينتمي إلى هذه الطائفة من التحزب الذي نهينا عنه، وكنا نمقته من غيرنا، وقد سمانا الله تعالى في كتابه «مسلمين» ولم يسمنا «سلفيين» فيجب على المجاهدين أن يقتربوا من أمتهم ويزيلوا مختلف العوائق التي وضعها الطغاة وأعداء الدين أمام ذلك، ولا يعني ذلك التنازل عن الحقِّ أو التنكر له، ولا مجاراة الناس في أهوائهم، ولا إرضاؤهم بسخط الله، وإنما المقصود أن الأسماء التي لم يعلَّق على عينها حكم شرعي، ولم يرد بلفظها دليل خاصٌّ يوجب المراعاة لأجله، ولوحِظَ أنه يقود إلى مفاسدَ واضحة تخالف مقصود الشارع وتصادمه، ينبغي تركها والتخلي عنها بلا ترددٍ، وهذا مع تأكيدنا على أن الانتساب للسلف هو شرفٌ عظيم إذا كان جارياً على معناه الصحيح من الالتزام بما كانوا عليه رضي الله عنهم.

وقد منَّ الله على هذه الأمة بهذه الثورات المتتابعات في بلاد المسلمين، والتي أثبتت فضل هذه الفئة على أمتها، وأن منهجها في التغيير هو ما يقره الشرع ويوافقه العقل، فقد أثبتت هذه الثورات أن هذه الأنظمة الظالمة لم ولن تذهب إلا بالقوة والتضحية، فلم نر طاغية ذهب بالديمقراطية والانتخابات، ولم نر

شريعة وخلافة عادت بذلك، وقد كانت هذه الفئة المؤمنة المجاهدة هي أول من ثار على هذه الأنظمة الفاسدة منذ عقود، ثارت بكل ما تستطيعه من وسائل كان أهمها وأعظمها الجهاد الذي شرعه الله وجعله ذروة سنام الإسلام، وتحملت من أجل دينها وأمتها ما لم يتحمله غيرها من هجرة وتشريد وسجن وتعذيب وقتل وتشويه، وغير ذلك كثير مما تنوء الجبال بحمله، عاش أصحابها -النزاع من القبائل، القابضون على دينهم كالقابض على الجمر- غرباء، وقضى كثير منهم -كما نحسبهم- شهداء، صبروا على لأواء الطريق وقلة الناصر والصديق، فما وهنوا وما داهنوا وما ضعفوا وما استكانوا، هذا مع ما كانت تعانيه هذه الفئة من غفلة السواد الأعظم من المسلمين عن إدراك حقيقة هذه الأنظمة وحقيقة الصراع معها. فلا ينكر فضل هذه الطائفة المجاهدة إلا جاهل بها أو ظالم لها.

ومع أن هذه الثورات بها كثير من الدخن الناتج عن طول إبعاد الناس عن الدين، إلا أنها -بإذن الله- خطوة على طريق التمكين لدين الله، هذا التمكين الذي لم ولن يأتي إلا بالعودة إلى الدين الذي نزل على محمد ﷺ، وإلا بالرجوع إلى الله والتمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ، لن يمكن هذا الدين إلا بما شرعه ربه وارتضاه، فلن تأتي الديمقراطية بالدين، ولن يأتي الكفر بالإيمان، ولا المعصية بالطاعة، وهذا وعد الله في كتابه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾، فوعد الله لمن آمن وعمل صالحاً، وليست الديمقراطية بعمل صالح، وإنما هي انحراف عن الدين ومنابذة لشريعة رب العالمين.

وعلى المخلصين من هذه الأمة أن يوحدوا جهودهم للتمكين لهذا الدين ولتحكيم شريعته، وهذا من أوجب الواجبات في هذا الزمان، وهو غاية كل مسلم، ولابد من نشر المفاهيم الصحيحة لهذا الدين، ومحاربة ما يناقضها من مفاهيم ضالة مستوردة من شرق أو غرب.

ويجب علينا أن نوالي كل مسلم بقدر ما عنده من التمسك بالحق والموافقة للكتاب والسنة، بل وأن نتعاون مع كل المسلمين على ما يحب ربنا ويرضى، والقاعدة في ذلك قول الله تعالى:

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾. هذا مع قيام واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح فيما بيننا كلٌ بحسب حاله وقربه أو بعده من الحقِّ.

ونحن مطالبون أيضاً بأن نخاطب العامة بما يفهمونه حتى لا نكون عليهم فتنة، وأن نتحلى بالحكمة والرحمة في تبليغهم الحق وإيضاحه لهم، كما قال شيخ الإسلام عن أهل السنة والجماعة: «يتبعون الحق ويرحمون الخلق».[1] خلافاً لأهل البدع. ويجب أيضاً أن نعمق من خطابنا ونترك السطحية، ونقيس المصالح والمفاسد بميزان الشريعة، ولا نغفل عن السنن الكونية في الصراع، وهذا في الحقيقة ما تقوم به قيادات هذه الفئة المجاهدة وأهل العلم فيها، بل وغيرهم، ويبقى أن يتحلى الجميع بذلك؛ ليتحقق ما نرجوه جميعاً من قيادة هذه الأمة إلى النصر الموعود، والتمكين المنشود، وهو ما وعدنا الله به، بل إنه يلوح في الأفق في أكثر من بقعة من الأرض، ولله الحمد والمنة.

هذا وأسأل الله أن يجمع شمل هذه الأمة على كلمة سواء، وأن يردها رداً جميلاً إلى دينها، وأن يهديها لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو دجانة الباشا

عفا الله عنه

شبكة الفداء الإسلامية

1(?) مجموع الفتاوى: 3/279.


شبكة الفداء الإسلامية
Al-Fida Islamic Network